

مسألة قَدَمَ كلام الله وأن القرآن كلام الله

قال المؤلف رحمة الله تعالى: فصل في كلام الله عز وجل: ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه؛ سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة؛ وسمعه جبريل عليه السلام ومن أذن له من ملائكته ورسله؛ وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه وأذن لهم فيزورونه قال الله تعالى: { وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا } وقال سبحانه: { يَا مُوسَى إِنِّي لِصَطْفَتِكَ عَلَى الْأَسْرَارِ بِرَسَالَتِكَ } وقال سبحانه: { مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ } وقال سبحانه: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } وقال تعالى: { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ } وقال سبحانه: { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْدُدْنِي } وغير جائز أن يقول هذا إلا الله. وقال: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا تكلم الله بالوحى سمع صوته أهل السماء؛ وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن أبييس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: { يَحْشِرُ الْخَلَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَفَّةً عَرَاهُ فِي نَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعْدِ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قَرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْدِيَانُ } رواه الأئمة واستشهد به البخاري . وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففرز منها فناداه ربه يا موسى فأجاب سريعاً: استثنائاً بالصوت فقال: ليك ليك أسمع صوتك ولا أرى مكانك؛ فأين أنت؟ فقال: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك؛ فعلم أن هذه الصفة لا تنبع إلا لله تعالى؛ قال: كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي يا موسى . فصل في صفة القرآن الكريم. ومن كلام الله تعالى القرآن العظيم؛ وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين؛ منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود؛ وهو سور محكمات وأيات بيان وحرف وكلمات من قرأه فأغurge فله بكل حرف عشر حسنات؛ له أول وأخر وأجزاء وأبعاض؛ متلو بالألسنة محفوظ في الصدور مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف فيه محكم ومتناهيه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهي. { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِعِنْدِهِمْ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِعِنْدِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِعِصْمِهِمْ لَيَعْصِمْ طَهِيرًا } وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الدين كفروا { لَنْ تُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنَ } وقال بعضهم { إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ } فقال الله: { سَاطِلِيهِ سَقَرَ } وقال بعضهم: هو شعر فقال الله: { وَمَا عَلِمْنَاهُ السُّعْدَرَ وَمَا يَبْنِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ } فلما نفي الله أنه شعر وأثبته قرآنًا لم يبق شبهة لذى لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو حروف وكلمات وأيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد إنه شعر. وقال الله تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا تَرَلَّنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ } ولا يجوز أن يتحداهم بالإثبات بمثل ما لا يدرى ما هو ولا يعقل وقال الله تعالى: { وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بِيَنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنَّهُ يَقْرَأُنَا عَيْرًا هَذَا أَوْ بَدَلًا قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ تَقْسِيٍ } فأثبتت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم، وقال تعالى: { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بِيَنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِأَيْمَانِنَا إِلَّا الطَّالِمُونَ } . وقال: { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ } بعد أن أقسم على ذلك وقال تعالى: { كَهِيَعْصِ } وقال تعالى: { حِمْ عَسْقٍ } وافتتح تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة وقال النبي: صلى الله عليه وسلم: { من قرأ القرآن فأغurge فله بكل حرف منه عشر حسنات ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة } حديث صحيح. وقال: عليه السلام: { اقرءوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتجلون آخره ولا يتجلونه } وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهم: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه. وقال علي رضي الله عنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله؛ واتفاق المسلمين على عد سور القرآن وأياته وكلماته وحروفه ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقاً عليه أنه كافر وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف . السلام عليكم ورحمة الله، باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى الله وصحبه أجمعين. ذكر أن من صفات الله تعالى أنه متكلم، وأنه يتكلم إذا شاء، وأن كلام الله تعالى قديم. مسألة الكلام من أقدم ما حدث، ومن أقدم ما تكلم به أو فيه المبدعة، فأنكرها أن يكون الله تعالى متكلماً؛ فعند ذلك جادلهم أهل السنة وبينوا لهم أن الله تعالى متكلم؛ وأن الكلام صفة كمال لا صفة نقص. خيل إليهم أن الكلام إنما يصدر من الجسم اللسان والشفتين والحنجرة واللحوات كما يحصل في المخلوق، وطنوا أنهم إذا أثروا لله ذلك لزم أن يكون الله شبيها بالمخلوقين؛ فعند ذلك عاندوا ونفوا أن يكون الله تعالى متكلماً، ونفوا وأنكروا أن الله تعالى كلام موسى .